

تحت الضوء

"فيلسوف الفريكة" يعود في زمن العصبية
أمين الريحاني.. معاصرنا

لا شك في ان استعادة ارث هذا الفيلسوف والروائي والشاعر والمصلح الاجتماعي ضرورية في هذا الزمن الصعب الذي يلف اوطاننا ويهدد بالشرذمة والتفتت والانغلاق وانفلاش العصبية من كل نوع. من هنا تأتي اهمية المبادرة التي قامت بها "مكتبة لبنان ناشرون" اذ اصدرت مجموعة "امين الريحاني: المؤلفات العربية الكاملة" (حوالي 30 جزءا) بتقديم وتحقيق ابن اخيه البرت الريحاني

"ان الوحدة المؤسسة على القومية هي وحدة مقدسة، فاوصيكم بها، واعلموا ان لا خلاص للاقلييات الا بامتزاجهم والاكثرية امتزاجا عقليا ادبيا روحيا، فتصبح البلاد لا اكثرية فيها ولا اقلية". ماذا لو عاد صاحب هذه الجملة التي اعتبر احد المنظرين الاوائل للقومية العربية الى ديارنا اليوم ورأى ما حل بالعالم العربي من شماله الى جنوبه؟ ماذا لو عاد امين الريحاني (1876 - 1940)، فيلسوف الفريكة الرؤيوي الذي ادرك باكرا خطر التعصب الديني والعرقى على تقدم المجتمعات العربية وريقها؟ ها هو يعود الينا باعماله التي عبرت زمنها لتستشرف حاضرا وربما مستقبلا. لا شك في ان استعادة ارث هذا الفيلسوف والروائي والشاعر والمصلح الاجتماعي ضرورية اكثر من اي وقت مضى. لكن كيف نملك ان نحيط بهذا الكاتب الموسوعي الذي كان رائدا في اكثر من حقل فكري وابداعي ونال القابا كثيرة؟ هو الذي قال عنه الكاتب والاكاديمي المصري زكي نجيب محمود (1905 - 1993) بانه "كان لامة العربية ما كان طاغور لابناء الهند، رسولا بين الانسان والطبيعة، وبين الانسان والانسان، وبين الانسان والله"، وهو الذي وصفته صحيفة "اوبزرفر" بانه اول من اعطى كتبا بالانكليزية عن البلاد العربية والشرق الادنى، وهو المؤسس لما سمي الادب الاميري العربي. اصف الى ذلك انه كان احد اوائل المنظرين للقومية العربية، واحد رواد الحداثة



امين الريحاني.

نقطة على السطر

هل للإبداع دور اجتماعي؟

في الستينات والسبعينات، بلغ الوعي السياسي اوجه في بيروت، واحتلت فكرة الادب الملتزم والفن الهادف صدارة المشهد الاعلامي والثقافي. كان جان بول سارتر ايقونة المرحلة، وشيخ طريقتها، تحديدا عبر كتابه "ما الادب؟" الذي ترجم مرارا الى لغة الضاد... وايضا من خلال الصورة الرائجة للفيلسوف الوجودي وهو يخطب في المصنع امام حشود العمال، او يبيع بنفسه اعداد جريدة "لومانيتيه" للعاشرين في حي سان جرمان الباريسي العريق. ثم تغيرت المرحلة وتغير مزاجها: شهدنا ردود فعل قاسية على "الجدانوفية" (نسبة الى اندراي جدانوف المنظر السوفيياتي القائل بغائية الابداع)، وكل ما يمت الى الايديولوجيا بصلة نبذت بشدة. بالتزامن مع الطروحات الغربية الجديدة وتبدل الموض السائدة هناك، صار "الاسلوب" هو الاولوية والخطاب الفكري مرذولا. اخذ النقاد يرددون كالبغاوات جملة شهيرة للسينمائي البريطاني الفرد هتشكوك خارج سياقها: "ما رسالة الفيلم؟ انا لا احمل رسائل، اذهبوا الى ساعي البريد".

هكذا صارت الجماليات غاية في ذاتها. اما الهم الاجتماعي، الوطني، الاخلاقي، والمشاكل الفكرية والانسانية، فباتت "ثقل" على الابداع، و"تستعبده"، وتقحم عليه "عناصر دخيلة"، و"تحوره عن غايته الاولى اي المتعة الجمالية"! انتصرت مقولة "الفن للفن" اذ، على مقولة "الفن الملتزم".

اليوم مع نشر كتابات غير معروفة بالعربية لامين الريحاني في بيروت واعادة اكتشاف اعماله المعروفة، نستعيد الافكار التنويرية والاصلاحية التي بشر بها هذا "المصلح الاجتماعي" بحسب التصنيف السائد في عصره، ونكتشف كم انها راهنة، وكم نحن في حاجة الى الاستنارة بها في هذه المرحلة القائمة من تاريخنا.

نعم "فيلسوف الفريكة"، الكاتب النهضوي الذي يعتبر من اقانيم الادب اللبناني، كان معنيا بالاصلاح، بقدر ما هو معني بالادب كحرفة، وكصناعة جمالية وتنميق اسلوبي.

هل يقلل ذلك من قيمته اليوم، أم يزيده راهنية وحضورا؟

في اعتقادنا ان المرحلة التي نعيش، وهي مرحلة بحث عن يقين، واعادة تأكيد الثوابت الوطنية والانسانية، تتطلب اعادة اعتبار الى الهم الملتزم، والهم الاصلاحي في الفن والكتابة والفكر... طبعا لا يمكن ان يكون ذلك على حساب المستوى التقني والاسلوبي... ولم يعد الجمهور يتنازل عن المستوى الجمالي، مكتفيا بالعظة الاخلاقية والوطنية. وحده الفن الجميل، والادب الناضج ابداعيا، في وسعهما احتضان الافكار النبيلة وخدمة القضايا الكبرى.

انطلاقا من العلاقة المتوازنة بين الشكل والمضمون، بين الجمال والفكر، بين الاحساس والموقف، يمكننا اليوم ان نصلح "الفن" مع "القضية"، وان نترك للإبداع ان يستعيد دوره الاجتماعي والاخلاقي في مقاومة التخلف والتعصب والوحشية والظلم والقمع والاستغلال، وفي التشجيع على قيام مجتمع راق وعادل وسلمي وتعددي يحترم القيم الانسانية والحرية والاختلاف.

نقع اليوم في بيروت على تجارب كثيرة، لدى الجيلين المخضرم والجديد، تحمل تلك الهموم "الاصلاحية" (كي نعود الى الريحاني)، او التوعوية. كثيرة هي الكتب والافلام والاغنيات والاعمال البصرية والمشهدية التي تنخرط في الصراع الاجتماعي والسياسي. نتناول في هذا العدد - على سبيل المثال - مسرحية سحر عساف عن آفة "الاتجار بالبشر" انطلاقا من شهادات حقيقية ممسحة للضحايا. ولا يمكن لاحد ان يتهم هذه المسرحية الشابة التي تميزت في الموسم الماضي بمسرحية "الملك لير" لشكسبير انها تجافي الثوابت الجمالية والمهارات الاسلوبية.

سعيد مراد

الروائية الذين عبّدا الطريق لولادة النهضة الفكرية العربية.

ابن الفريكة الذي امضى حياته متنقلا بين بلدته، وموطنه الثاني نيويورك، يعتبر من ابرز وجوه شعراء المهجر الذين هاجروا الى الاميريكتين بين الاعوام 1870 و1900، وساهموا من موقعهم هناك في قطار العصرية والتحديث والنهضة العربية. على رأس هذه اللائحة التي ضمت ايضا جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة، جاء امين الريحاني بثقافته الموسوعية والشمولية شأنه في ذلك شأن وجوه ادباء التنوير الاوروبي. اتخذ الريحاني من كتابة الرواية والشعر والفلسفة والمذكرات وادب الرحلة وسيلة لترسيخ مشروعه الفكري الذي قام على اقانيم ثابتة: الحوار بين الشرق والغرب مع تصويب الشوائب في كلا البقعتين، والدعوة الى نبذ التطرف والتعصب الديني والعرقى الذي هو علة العلل في العالم العربي، والمناداة بالعلمانية والديموقراطية السياسية التي لا يمكن ان تستوي من دون الحرية الدينية والاجتماعية، والاشارة باكرا الى الخطر الصهيوني المحدق بعالمنا العربي.

صحيح ان امين الريحاني كان ايضا ابن الحضارة الغربية بادبها ومراجعها، واتخذها قدوة في ما يخص التطور والتقدم العلمي والتقني، الا ان ذلك لم يجعله مسلوبا بهذا الارث، عاجزا عن رؤية مشكلاته والتعمق فيها. بل انه حذر من الافراط في المادية والفساد السياسي والتفاوت الاجتماعي في تلك المجتمعات. يمكن القول ان الريحاني كان من اوائل الكتاب العرب الذين حاولوا تجسير الهوة بين الشرق والغرب، خصوصا من خلال التبادل الثقافي والانتاج الفكري. هكذا، ترجم رباعيات ابي العلاء المعري الى الانكليزية، وكان اول رحالة يقدم سردية مضادة لادب المستشرقين الذي كان منمّطا وسائدا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وصولا الى القرن العشرين. اذ انجز كتبا

مؤسسة الصفدي



مؤسسة الصفدي هي من أبرز المؤسسات اللبنانية في مجالات التنمية الاجتماعية - الاقتصادية، وتتطلع نحو مجتمع متكامل يوفر الفرص المتساوية، يحترم التنوع ويعزز التنمية المستدامة لدى الأفراد والمجتمعات.

قطاع التنمية الريفية
والزراعة المستدامة



قطاع التنمية
الاجتماعية



على كل الفوارق الدينية والعرقية، والثقافية، داعيا الى تنقية التراث الديني من كل ما علق به من تعصب وتطرف ورفض للاخر، ومناديا بالوحدة العربية لمجابهة الاخطار والمطامع الاجنبية، مع الاخذ بمنجزات الغرب التقنية. خيَّط الريحاني كل ذلك ضمن قماشة سرد متماسكة ونسيج روائي طريف ومشوق وساخر، تخللته تقنية تعدد الاصوات الروائية... عناصر تضعه في قلب الحداثة الروائية العربية.

طبعا، لا تستقيم اي وحدة عربية من دون الجهوزية لمقاومة الاستعمار الذي يعمل جاهدا على تفتيت المنطقة من اجل السيطرة عليها وعلى ثرواتها. انطلاقا من ذلك، كان الريحاني ايضا مناضلا سياسيا نشط في دوائر صنع القرار عالميا وعربيا. منذ الحرب العالمية الاولى، نشط في "اللجنة السورية اللبنانية" ضد الاستعمار العثماني. في عام 1918 شارك في مؤتمر اقيم في واشنطن من اجل الحد من التسلح. خلال الانتداب الفرنسي على لبنان قدم الكثير من المحاضرات في اميركا حول القضايا العربية، مطالباً باستقلال لبنان، ما حدا بالسلطات الفرنسية الى نفيه الى العراق عام 1934، ولم يعد الا بعد ضغط كبير مارسه الجاليات العربية في المهاجر. طبعا، تيقن الريحاني الى نيات اسرائيل الاستعمارية والتوسعية، فانشغل بين الاعوام 1927 و1939 في تنظيم محاضرات في الولايات المتحدة، منبها الى النيات الصهيونية بازاء المنطقة العربية.

عبر الانخراط السياسي والنضالي المباشر، او عبر تنظيم المحاضرات، وتأليف اكثر من ستين كتابا (بالعربية والانكليزية)، ترك امين الريحاني ارثا وكنزا ثميننا تستنير به ليس فقط الاجيال الحالية، بل الاجيال الاتية بوصفها بوصلة لما ينبغي القيام به من اجل النهوض من هذه الكبوة العربية التي طال امدها.

س. م

”
دعا الى العلمانية
والحرية السياسية والانفتاح
على الاخر، واضعا الانسان
فوق كل اعتبار

ناضلا ضد الاحتلال العثماني
والانتداب الفرنسي،
ونبه باكرا الى المطامع
الصهيونية في المنطقة

التي تعتبر اول رواية لكاتب عربي - اميركي باللغة الانكليزية (ترجمت الى العربية عام 1986)، تحمل الخطوط العريضة والاساسية في فكر الريحاني. علما انها ايضا الهمت "نبي" جبران خليل جبران، و"مرداد" مليخائيل نعيمة، وكانت من الاعمال الطليعية في الادب العربي الحديث. تندرج الروايات الثلاث ضمن مثلث "الادب الرويوي اللبناني"، وقد ارسى مدرسة في الادب اللبناني في القرن العشرين. عبر البطل خالد (مثل "نبي" جبران) الفتى اللبناني المتحدر من مدينة بعلبك والذي يضطر الى الهجرة الى اميركا، قدم لنا الريحاني خلاصة فكره المبني على انسانية الانسان التي تغلو

بالانكليزية والعربية عن رحلاته الى البلاد العربية والشرق الادنى من بينها "ملوك العرب" (1924)، و"تاريخ نجد الحديث" (1927)، و"النكبات" (1928) و"ابن سعود وشعبه وبلاده" و"حول الشواطئ العربية والقمم العربية والصحراء" (1930)، و"المغرب الاقصى" (1939)... مقدا فيها توصيفا موضوعيا وعلميا وتحليليا لهذه المنطقة من وجهة عربية.

واذا كان الريحاني انتقد المادية التي تسود المجتمعات الغربية المأخوذة بموجة التصنيع والتطور، فانه توقف مليا عند العالم العربي، مقلبا في مؤلفاته الكثيرة، المآزق التي تواجه سير مجتمعاته نحو الحرية والعدالة والديموقراطية والتقدم. وبين شرق وغرب، خلص الى انه "حبذا الشريون والغربيون لو اخذ بعضهم عن بعض مما هو جميل في اديانهم، صحيح في عاداتهم، سام في فنونهم، عادل في احكامهم وشرائعهم، سليم في اخلاقهم. ان خلاصة الصحيح السليم من ثقافة الشرق والغرب ممزوجة موحدة انما هي الدواء الوحيد لامراض هذا الزمان الدينية والاجتماعية والسياسية. فالغربي عندئذ يعود الى الله، والشرقي يرفع عن الله بعض اثقاله".

لقد رأى الريحاني ان علة العلل في العالم العربي هو التعصب لا الدين في ذاته. ولعل روايته "كتاب خالد" (1911)

اوسمة ومتحف

خلال حياته، حظي امين الريحاني بعدد من الاوسمة والتكريمات من كبار الشخصيات السياسية والديبلوماسية. منح وسام الاستحقاق اللبناني الاول المذهب عام 1940، ووسام المعارف الاول الايراني عام 1940، ووسام المعارف الاول المغربي عام 1940. اقيم له تمثال في قاعة الاعلام في "مركز باكارد الدولي" في جامعة تافتس في ولاية ماساتشوستس في الولايات المتحدة. عام 1953 افتتح شقيقه البرت "متحف امين الريحاني" في الفريكة تخليدا لذكراه.